سينما

هوايات عجيبة لأثرياء عديدين
وثائقيان يكشفان سينمائياً الترويضَ المُذلّ

فيلمان وثائقيان جديدان يرويان تفاصيل مغامرات عجيبة لأثرياء من العالم، يسعون إلى الحصول على مبتغاهم بوسائل شتّى

فيس قاسم

مليارديرٌ جورجي يشتري أكبر الأشجار المعمّرة في البلد، وينقلها كما هي عبر البحر، ليزرعها في حديقة منزله. في نيكاراغوا، يشتري مليارديرٌ صيني ممرّات نهر سان خوان، ليفتح بها قناة جديدة تربط بين محيطين. من هوايات غريبة ومشاريع عجيبة لأثرياء، تنبثق فكرة وثائقيين: الأول «ترويض الحديقة» (2021) لسالوما ياشي، المعروض في برنامج «فوروم» في الدورة الـ71 لـ«مهرجان برلين السينمائي»، المقامة افتراضياً بين الأول والخامس من مارس/ آذار 2021؛ والثاني «حكايات النهر» (2020) للمخرجة اللوكسمبورغية جُولِيَ شرويل. معالجة الفكرة في النصّين مكانيّةٌ بامتياز. المكان بطلهما، بما يكمن وما يفرز من علاقات وصلات وتواريخ. نزوات الامتلاك قادرة، في لحظة، على تفتيتها، من دون إحساس بذنب. ذلك ما يؤرق الوثائقيان اللذان ينقّلان ما يحسّ به الناس، المتجذّر وجدهم في المكان، وهم يراقبون الانقلابات العجيبة التي يشهدها.

كأنّ هناك اتفاقاً بين صانعتيه على نقل أجمل ما في المكانين، وعلى منح الكاميرتين حرية اختيار ما تريدان سرده من قصص، بكلّ الكامن في عدساتهما من إعجاز وقدرة على الإبهار والتعبير. كلّ لقطة في الفيلمين تُغني عن طول كلام. الإيجاز اللغوي يُقابله ترفٌ بصري، يجعل الفيلمين تحفتين سينمائيتين، جمالياتهما فائضة. الأشجار والبحر في «ترويض الحديقة» متداخلان كما في الطبيعة الجورجية، التي توثّق صانعته سالوما ياشي (1981) عمليات «بيع وشراء» تجرى في مناطق منها. غرائبيّة مشهد سير عَبّارة وسط البحر، «نبتت» وسطها شجرة جوز عملاقة، يقارب سوريالية فكرة نقلها إلى حديقة خاصة. مفردتا عِبارة «حكايات النهر»، تنقلهما كاميرات حسّاسة تزاوج بين مياه نهر سان خوان، المعروض للبيع، وسرديات ومخيال شعبي استلهم تاريخه، ونسج حوله أساطير وحكايات مهدّدة الآن بالزوال.

الوثائقيان غير معنيّين بالبحث عن أصحاب المشاريع. لا يرد اسم الملياردير الجورجي ورئيس وزراء جورجيا السابق بيدزينا إيفانيشفيلي إلا مرة واحدة، وبالكاد يُذكر اسم الملياردير الصيني وانغ جينغ، في «حكايات النهر». أفكارهما ورغبتهما في الاستحواذ على ثروات طبيعية تُشغل بال صانعتي الفيلمين. المعارضة لها في المنجزين متباينة الشدة والنوع. تميل الجورجية سالوما إلى سرد داخلي، يكشف تردّداً وإحساساً شديداً بالندم على قبولهم التخلّي عن أشجار، صارت جزءاً من تاريخهم. العرض السخيّ الذي يُقدّمه وسطاء الملياردير تصعب مقاومته. مبالغ كبيرة من المال مقابل أشجار واقفة منذ عقود، تُغري بقبول تلفُّه مُمانعات خجولة معلنة باستيحاء. هناك إحساسٌ دائم بالفجيعة، يُنتظر التعبير عنه في اللحظة المناسبة. على وجوده تحافظ صانعة الوثائقي وتبقيه حاضراً تحت السطح، طيلة تسجيلها تفاصيل اقتلاع الأشجار، المصحوب دائماً بموسيقى جنائزية (فيليب تشومبي وتسيليا ستروم).

في «حكايات النهر»، يأخذ الاعتراض على مشروع، يلفّه الغموض، بُعداً تاريخياً وأنثروبولوجياً. فلطالما حلم الغزاة بتحويل مجرى نهر سان خوان، الرابط بين المحيطين الهادئ والأطلسي، إلى قناة ناقلة لثروات منهوبة. في أوائل القرن الـ16، تصارع للسيطرة عليه الإنكليز والإسبان، وفي عصور المال الحديثة، يريد الملياردير الصيني شراءه. لا يتورّط الوثائقي في الحديث عن هيمنات استعمارية وصراع ثقافات فجّ. يستغلّ وجود ناشط بيئي وتربوي، في قرية إل كاستيلو، الواقعة ضمن حدود «منطقة القناة»، ويرافق تجربته. يأتي يمن جوردان تاسغا لوبيز إلى القرية بمشروع مسرحي، يلعب أدواره طلاب المدارس، ويحاكي نصّه فكرة إقامة مشروع القناة. يُعيد جانباً من علاقات استعمارية قديمة، وصراعات دموية تركت نُدباً عميقة في جسد النهر وأرواح ساكني ضفافه. بأسلوب تربوي منفتح، يشتغل على نبش جوانيات الطلبة الصغار، والتقرّب من أحلامهم ومخاوفهم من تشرّد مُنتظر لعوائلهم، وتخريب لبيئتهم. يجعل من حواراته معهم خامات لنصّه المقترح. تجربته المنقولة بكاميرات تعرف المكان جيداً وتلمّ بتاريخه، تنفتح على مساحات جمالية مذهلة (تصوير داميان بلاندولي)، مصحوبة بموسيقى (باسكال كاريز) تُعيد روح الأزمان الغابرة، وتُحيي مجدّداً مشاعر حنين ورغبة في الحفاظ على ما ينبغي له البقاء.

> معالجة مكانيّةٌ فالمكان بطل بعلاقاته وصلاته وتاريخه

التفريط بما لا ينبغي التفريط به يُزيد إحساس باعة الأشجار بالندم في جورجيا. يتكثّف ويشتدّ في لحظة الإعلان عن بدء نقل أكبر الأشجار وأطولها عمراً إلى مكان غريب، غير مكانها الأول، الذي أحيت حياتها فيه. بمشهدٍ جنائزي، مُلتَقَط بعدسات مفتوحة على سعتها (تصوير باهر لجوجا ديفارياني وسالوما ياشي)، يودّع سكان القرية شجرتهم. يبكي بعضهم بحرقة على «تنازل» مُذلّ وخيانة عِشْرة. نساء القرية يودّعنها كما يودّعن عزيزاً لهنّ إلى مقبرة. وفي الطرف الثاني من البحر، يعتني بها مزارعو حديقة الملياردير كما لو أنها شجرته، التي يعرفها، والتي جلس ولعب تحت ظلالها في طفولته.

«ترويض الحديقة» لسالوما ياشي: كاميرا الناس (ميرا فيلم، كورسو فيلم، ساكدوك فيلم/ البرليناله 71)

دردشةٌ سينمائية عن «كانّ» 2021
إصرارٌ على الواقعيّ لكنّ كورونا حاضرٌ

نديم جرجوره

مهرجان «كانّ» يؤجّل موعد الدورة المقبلة إلى وقتٍ لاحقٍ على الموعد السنوي المعتاد. لا رغبة لديه في إلغاء ثان، بعد إلغاء العام الماضي، بسبب كورونا. يُصرّ على تنظيم دورة واقعية، وإنْ بعد حين. الإصرار حاضرٌ في العام الماضي أيضاً، ومع هذا يحصل إلغاءٌ بعد تأجيل. الإعلان عن أنّ سبايك لي سيكون، هذه المرّة أيضاً، رئيساً للجنة تحكيم الدورة المقبلة، بعد اختياره في المنصب نفسه في الدورة الملغاة في العام الماضي، تأكيدٌ على الإصرار. النكتة الساخرة تقول: أيعقل أنْ يكون سبايك لي شؤماً على أحد أهمّ مهرجانات السينما في العالم؟

لا يُعوَّل على الماورائيات، في عالمٍ سينمائي مليء بماورائيات وخيال علميّ، ومعقود على إمكانية تحقّق كلّ شيء، وأيّ شيء. كورونا واقعيّ للغاية. المصائب الناتجة عنه لن تكون مسؤوليتها حكراً عليه فقط. هناك خلل في أنظمة العيش يسبق كورونا، المكتفي بتعريتها أكثر. مهرجان «كانّ» يبدو واقعاً في مصيبة التكرار السنوي، رغم البهرجة والأضواء والجاذبيّة، وهذه كلّها يتمتّع بها رغم مصاعب العالم وأزماته. خياراته السينمائية يغلب عليها الجدّي والمتنوّع والبديع. حفلاته هدفٌ لمتابعات كثيرة. سوقه نابضةٌ باشتغالاتٍ جمّة، تجعله مُثيراً لقلق أسواق أخرى، بعضها ناجحٌ في منافستها والتساوي معها، على الأقلّ.

مُصيبة التكرار تعني أنّ كل هذه المسائل تتكرّر دورةً تلو أخرى. الجديد يتمثّل في الأفلام، والباقي معروفةٌ قواعده ومساراته ونتائجه، فالمهرجان يجمع فعلياً بين الفنّ والصناعة والاقتصاد والنقد والتجارة والمُشاهدة والسهر والمتع المختلفة. صالاته غير متبدّلة منذ دورات كثيرة. «قصر المهرجانات والمؤتمرات» جاهزٌ سنوياً لاستقبال ضيوفه منذ زمن. المدينة قائمة في حيّزها المعتاد، وغالبية مقاهيها ومطاعمها وملاهيها الليلية ومكتباتها وأسواقها التجارية ومنازلها المتنوّعة باقية على حالها، عاماً تلو آخر. هذا كلّه مُريحٌ، رغم الإيقاع السريع الذي يفرضه المهرجان على راغبين في المُشاهدة والتسلية، من دون الإخلال بمتطلّبات المهنة (نقد، صحافة، إعلام). متابعو المهرجان منذ أعوام يُدركون معنى حضور المهرجان والمدينة في حياتهم. هم يفتقدون تلك الأيام. هم يتمنّون أنْ تُقام الدورة الـ74 واقعياً، وإنْ في موعدٍ جديدٍ (6 . 17 يوليو/تموز 2021)، يختلف عن الموعد السنوي المعتاد. الآخرون أيضاً يتمنّون. لكن الواقع يختلف عن التمنّيات، والمقبل من الأيام سيكشف واقع الحال.

مهرجان «كانّ» يرى كورونا مُصيبةً إضافية، غير متوقّعة أبداً. في تاريخه (1946)، يتوقّف المهرجان مرّة واحدة، بعد 3 أيام على بدء دورته الـ21 (10 . 19 مايو/ أيار 1968)، بسبب مظاهرات طلبة وعمّال (حركة مايو 68). أول موعد لأول دورة (الأول من سبتمبر/أيلول 1939) يُلغى، بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية. كورونا ينضمّ إلى تلك اللحظات المصيرية، والعالم ينتظر معرفة مصيره بعد الوباء. المهرجان يُعوِّل على الدورة المقبلة. إقامتها ضرورية. تأجيلها كارثة. تحويلها إلى الافتراضيّ، كـ«مهرجان برلين السينمائيّ» (الدورة الـ71، بين الأول والخامس من مارس/ آذار 2021)، خيارٌ، وإنْ يبقى اللجوء إليه رهن كورونا ومساره. في الذاكرة القريبة، تجربة «مهرجان فينيسيا السينمائي»، المُقامة دورته الأخيرة واقعياً (الدورة الـ77، بين 2 و12 سبتمبر/أيلول 2020)، في إحدى لحظات سيطرة الوباء على المدينة والبلد والعالم.

التحضيرات جارية. الرغبة في إنجاح «دورة العودة» (واقعياً)، إنْ يصحّ التعبير، عميقة وحقيقية. لكنّ هذا رهنُ مآلات المقبل من الأيام، والانتظار سيُقدّم إجابات مطلوبة.

السعفة الذهبية لمدينة «كانّ»: دورة 2021 واقعية او...؟ (لويك فونانس/ فرانس برس)

> رغبة عميقة في إنجاح دورة واقعية جديدة في زمن كورونا

أفلام جديدة

■ (Loco Por Ella (Fou De Toi
لداني دو لا أوردان، تمثيل ألفارو سيرفانتس وسوزانا أبتوُوَا (الصورة) ولوي زاهيرا: منذ 26 فبراير/ شباط 2021، تُعرض هذه الكوميديا الرومانسية الإسبانيّة على شاشة المنصّة الأميركية «نتفليكس». يروي الفيلم حكاية أدري، الذي يفرض على نفسه خوض تجربة «غريبة»، تتطلّب منه أنْ يدخل إلى مشفى للاضطرابات النفسية، ليكون قريباً من المرأة التي يُحبّها منذ زمن طويل. لكنّه يكتشف سريعاً أنّه لن يتمكّن من الخروج من التجربة أبداً.

■ Sentinelle لجوليان لوكلرك، تمثيل أولغا كوريلانكو (الصورة) وماريلين ليما وميشال نابوكوف: تعمل كلارا (33 عاماً) مترجمةً في الجيش الفرنسي. بعد أنْ عرفت أهوالاً كثيرة في الحرب السورية، تمّ نقلها إلى نيس للمشاركة في عملية Sentinelle. تُقيم مع والدتها وأختها، ومعهما تحاول إعادة بناء نفسها. لكنّ حدثاً يحصل يُغيّر مجرى الأمور: ذات ليلة، بعد سهرة لها في ملهى ليلي، يُعثر على جثّتها المقطّعة. تُرى، لماذا وكيف ومن الفاعل؟

■ Moxie لآيمي بولر، تمثيل هادلي روبنسن (الصورة) ولوران ثُسَاي وأليسيا باسكوال. بينا: لأسبابٍ جمّة ربما لن يكون ضرورياً معرفتها بالكامل، يعيش مراهقٌ خجول (16 عاماً) في عالمه الخاص، فيستوحي من سيرة الماضي المتمرّد لوالدته، ومن حياة صديقة جديدة يلتقيها صدفة، ما يجعله يكتب لمجلة مدرسته باسم مستعار، ليُدين التحيّز الجنسي الذي يُمارسه كثيرون فيها.

■ The Red للوكاس زايكر، تمثيل بوبي إيدوسويي وديريك جاييم أوغبوي: مرة جديدة، تخوض السينما العالمية تجربة إنتاج أفلام متعلّقة بالـ«زومبي»، وبما تفعله تلك الكائنات عندما تنقضّ على كوكب الأرض، وبحقّ الناس. بين التشويق والـ«ثريلر»، تدور أحداث هذا الفيلم، مع تفشّي وباء يحمله الـ«زومبي» المنتشرين في أنحاء مختلفة في جنوب أفريقيا.

■ Stuck Apart للثنائي يَغْمور ودورول تايلان، تمثيل أنجن غونايدن وهالوك بيلْغِنر وبينّور كايا (الصورة): رغم أنّه يمرّ في أسوأ أزمة نفسية في حياته، توصف عادة بكونها «أزمة وجود»، يُقدِّم عزيز نفسه أمام الجميع شخصاً مرتاحاً ومرحاً ومحبّاً. فهو يبحث عن وسيلة هروب من عمله التافه، ومن أصدقائه البعيدين، ومن عائلته المتطفّلة.